أسلوبك.. أخلاقك

ياسمين خلف

يقال أنك لو ضربت ابنك ضربة خفيفة وأنت توبّخه لبكى، ولو ضربته ضربة أقوى منها وأنت تمازحه لضحك. فالألم المعنوي أشد إيذاءً على النفس من الألم الجسدي بمرات.

والأسلوب في التحدّث، وفي المناصحة، وحتى في إلقاء الأوامر يُحدث فرقاً كبيراً في مدى تقبّله من الطرف الأخر، سواءً كان طفلاً أو شاباً أو حتى رجلاً كبيراً، فما تريد أن تقوله سيصل للطرف الأخر بأي أسلوب كان نعم، ولكن الفرق أن أسلوبك إما أن يجعل منك شخصاً قاسياً عديم الرحمة، ومكروهاً أو أن يجعل منك شخصاً محبوباً تُلبى لك مطالبك حتى قبل أن تتحدّث، ومن ذلك نبرة الصوت وحدّته.

وأسوأ ما يكون أن تجرح بكلماتك وأسلوبك الفظ طفلاً لا يُدرك بعد ماهية الحياة ولا أسلوب التعامل مع الكبار، ولا يعرف غير العفوية وحُسن النية. طفل في الصف الأول الابتدائي، فُك رباط حذائه، ولم يعرف كيف يعقد ربطاته، فيداه الصغيرتان الغضتان لم تتعودا بعد على ربط تلك الخيوط التي تشكّل له لغزاً، لا تعرف حله إلا والدته التي تعوّد أن يلجأ إليها، ولأنه في المدرسة، وكما علمته والدته أن المعلمة أم ثانية له في المدرسة، طلب منها وبعفوية وببراءة مساعدته في ربط تلك الخيوط، فزجرته – ربما لاعتقادها أن دورها يقتصر على التدريس وليس أي شيء آخر– وطلبت منه وبأسلوب قاس أن يطلب من والدته أن تشتري له حذاءً آخر بدون ربطات، وبحسب والدته، أن طفلها سرد لها الحادثة بقلب مكسور. أليس بمقدور هذه المعلمة أن تطلب من ذاك الطفل بأسلوب آخر دون أن تجرحه أو تفطر قلبه؟، أتقبل هذه المعلمة ومن على شاكلتها أن يعامل أطفالهن بذات الأسلوب؟ وماذا ستكون ردة فعلها لو كان ذاك الطفل طفلها؟ تساؤلات نقلتها الأم بقلب محترق.

مهنة الرسل مهنة لابد أن تُحترم، وقبل أن نطلب من الآخرين احترامها يجب أن يحترم حامل رايتها مبادئ هذه المهنة، وأن يكون على قدر عالٍ من الأخلاق والتهذب، فالطفل يجد معلمه قدوة يحتذي بها، وإحداث شرخ في نفسية الطفل في سنوات عمره الأولى يبقى أثره طويلاً في نفسيته بل وحتى على سلوكه المستقبلي.

لا نعمّم أبداً، فهناك مربون نرفع لهم قبعاتنا لما يتمتعون به من أخلاق وأسلوب راق في التعامل مع الطلبة، إذ يعتبرونهم أبناء لهم لا طلبة، يخافون عليهم، ولا يبخلون عليهم لا بعلم ولا بعاطفة أو بحنان، كتلك المعلمة التي وبعد أن قدّمت قطعة بسكويت لطفل لتهدئ من روعه، تفاجأت بعد نحو ٢٠ عاما من الحادثة يقول لها وعبر الفيسبوك "شكراً على معاملتك الحانية فلم أُنس لطفك معي".

ياسمينة: كاد المعلم أن يكون رسولا.

كاريكاتير أعجبني

التكنولوجيا من جديد

حصة العوضي

كلما شاهدت أنواع الكعك والمخبوزات الشهية واللذيذة، أتذكر تلك الأيام القديمة، حيث كانت جدتي وأمي والأخريات يقمن بتحضير بعض الأنواع القليلة من تلك الحلويات التراثية، والتي تحتاج إلى أن توضع فوق الجمر المشتعل، ويوضع فوق الإناء أيضاً بعض من ذلك الجمر، وكيف كانت النساء يحاولن إذكاء النار من تحت تلك القدور، حتى لا ينطفئ الجمر وتفسد الحلوى أو أي نوع آخر من المأكولات.

فأرى من حولي وأمامي كل أنواع الأجهزة الكهربائية التي وفرتها لنا التكنولوجيا في منتصف القرن الماضي وحتى وقتنا الحالي.

نعم، لقد وفرت تلك الآلات الحديثة على المرأة مهمات كثيرة، كانت تتطلب منها بذل الكثير من الجهد والوقت والعناء.

الآن بات الوضع سهلاً جداً، حتى أن النساء وجدن الكثير من أوقات الفراغ التي ملأنها بالعمل خارج المنزل، والتي يجدنها وسيلة للكثير من الأمور المهمة في حياتنا الحالية.

كل شيء أصبح الآن بالتكنولوجيا، إلا شيئاً واحداً وهو تربية الأبناء، فحتى الآن تقع هذه المهمة على الإنسان وحده، دون التكنولوجيا، إلا أن الكثيرين منا يعتقدون أن بعضاً من هذه الآليات الجديدة هي مخصصة للأبناء ولتعليمهم وتربيتهم، وهم بذلك يعنون وسائل الاتصالات المختلفة بما فيها من شاشات وألوان وأصوات، ولقاءات، وغيرها الكثير، دون أن يتذكروا أن تلك الآليات ما هي إلا أسلحة ذات حدين.

وهذه هي الحقيقة، تلك الوسائل الإلكترونية الكثيرة والمتعددة والتي نتركها في أيدي الصغار منذ نعومة أظفارهم، لا يمكنها أن تكون بديلاً للأم، أو الأب، أو المعلم، أو المسجد، وغيرهم من المربين من البشر.

إننا نضع تلك الأجهزة بين أيديهم لنتمكن من الحصول على الراحة والاسترخاء، وربما الخروج من المنزل، دون إزعاج من هؤلاء الصغار، ودون أن نترك لهم المجال للعب والصراخ، وملء المكان بالإزعاج والشيطنة، والخربشة على الأثاث والجدران، وكسر الأواني والإكسسوارات الثمينة، أي دون أن نتركهم ليعيشوا طفولتهم، المسروقة منهم قهراً، بفضل تلك التكنولوجيا الحديثة.

قبل قرن من الزمان تقريباً، حين كان الإنسان يفكر باختراع لينقل من خلاله الأحداث التي يعيشها العالم إلى الناس في بيوتهم، كان الراديو، وكان انطلاقه للإعلام، وإخبار البشر فعلا بما يريدون معرفته في جميع أنحاء العالم.

ثم تطور الأمر ليندمج الصوت مع الصورة، وليشكلا عالماً جديداً من التواصل المرئي والمسموع، حيث انتشرت تلك الأجهزة في كل أنحاء العالم، أسرع من انتشار الإشاعات المغرضة. كانت تلك الفترة هي فترة الإعلام الحقيقي، بكل ما يحمله للعالم من معنى، سواء في الراديو أو التلفاز، أو حتى بعض المسرحيات التي كانت تعرض في بعض البلاد، وكذلك السينما، رغم ما كانت تحمله من ثقافات غريبة عنا وعن مجتمعنا، إلا أن الناس حينها كانوا يسعون إليها للمعرفة والاطلاع على ما يدور في العالم، أكثر من بحثهم عن ما يقتل الطفولة والبراءة، والطاقة التي يتمتع بها أولئك الصغار في زمانهم.

الآن، تغيرت الأوضاع حقاً، أصبحنا نحن البشر نغير الأهداف الحقيقية التي من أجلها أوجدت تلك التكنولوجيا، ألا وهي مساعدة الإنسان على تسيير حياته بيسر وسهولة، ومقاومة ساعات الجهد التي كان من المفترض بذلها حتى لقطع مسافة بسيطة من الطريق، أو لمعرفة المستجدات المهمة في بيوتنا من بعيد، وغيرها من الأهداف النبيلة والسامية. الآن، أهداف تلك التكنولوجيا هدر الوقت ليلاً ونهاراً دون أهداف حياتية، إلغاء الصلات الحقيقية والتواصل البصري والسمعي بيننا، والعلاقات الاجتماعية بيننا وبين أبنائنا الصغار، وخلق مجموعات كبيرة جداً من القرى العالمية الصغيرة في بيوتنا، وبين جدران حياتنا، دون أن نعلم إلام سيؤدي كل ذلك الانفصال، وتلك العزلة الإنسانية الخطيرة، على أبنائنا، وعلى المستقبل المنتظر ... والله أعلم.

في القراءة والذين لا يقرؤون

عائشة السلطان

في القراءة كما في كل شيء، فاقد الشيء لا يعطيه، الأم التي لم تفتح في حياتها كتاباً بعد كتب المدرسة، كيف يمكنها أن تهدي أطفالها كتباً إذا نجحوا بدل أجهزة الأيباد، هي تعتقد أن وجود الأيباد دليل تطور ونعمة، بينما الكتب دليل عقد وأمراض نفسية – كما حكت لي واحدة من هؤلاء الأمهات – لماذا هذه النظرة الغرائبية والسوداء للكتب؟ لأن الولد الذي يقرأ يُجَنْ –حسب اعتقادها – والبنت التي تقرأ لا يتزوجها أحد، تصير انطوائية ومغرورة وعانسا!!

يبدو تبريرها شبيها بتلك الصور النمطية السلبية التي كرستها السينما والمسلسلات التلفزيونية عن المثقف والمعلم، تبدو صورة بحاجة إلى جهد كبير لمحوها وتصحيحها في ذهن امرأة مطلوب منها أن تغرس حب القراءة في قلوب وسلوك أطفالها في الوقت الذي تعاني هي علاقة مأزومة مع فعل القراءة ابتداء!

يقول ذلك، المسؤول لسكرتيرته فكري لي في أنشطة يمكن أن نشارك بها مؤسستنا في تنشيط عادة القراءة بين موظفينا أولاً، وثانياً ضمن أنشطة المجتمع، ولم ينس أن يؤكد لها أن الموضوع مهم، وأنه يصب في استراتيجية الدولة وتوجهات القيادة الرشيدة، لكن ماذا عن السيد المسؤول، هل يقرأ؟ هل يبذل جهداً لجعل القراءة عادة ثابتة على جدول حياة أبنائه وعموم أسرته؟ يرد عليها هامسا، كنت أحب القراءة صدقيني، لكن لا وقت لدي الآن لهكذا ممارسات تضيع الوقت؟ أما عن أسرته فلا يدري إن كانوا يحبون القراءة أم لا، هو عادة لا يلتقيهم بشكل يومي بسبب انشغالاته ! لكنه متأكد أنهم يتلقون تعليما متميزا في أرقى المدارس الأجنبية، التعليم والشهادة أهم، القراءة تخرب العقول وتفتحها على أسئلة شائكة وصعبة !

يقول كاتب صحفي رداً على سؤالي عن آخر كتاب قرأه، إنه كتاب في الإعلام قرأه منذ ثلاث سنوات أثناء إعداده رسالة الماجستير، فيما بعد لم يعد يجد وقتا للقراءة، ولم ينس وهو ينهي الحديث أن يقول: القراءة يا سيدتي ترف للناس المرتاحين غير المضطرين للجري واللهاث وراء لقمة العيش، لماذا نقرأ عادة؟ سألني بحدة، كل ما يحتاجه عملي في الصحافة أعرفه ودرسته في الجامعة والماجستير، الباقي علمتني وتعلمني إياه التجربة والممارسة اليومية، القراءة لن تزيدني ولن تنقص قدري، قال ذلك وهو يضحك بسخرية مرة، ولأنني أعرف هذا الصحفي وأعرف اجتهاده وشغفه، فقد هالني حديثه، ما الذي غيره؟ إنه اللهاث طوال اليوم وفقدان القناعات النبيلة وسط الزحام والتنافس الشرس! فاقد القراءة لا يعطيها، لذلك فالذين سيبذلون جهداً باتجاه تكريس فعل القراءة والتشجيع عليها، هم أولئك المؤمنون بها والمنتمون لشغفها، أما الذين يأتون من ثقوب الحياة الضيقة فلن يفعلوا سوى إثبات وجودهم في صور الفعاليات التي سيحفل بها عام ٢٠١٦.. عام القراءة.

المجتمع المدني : مقولة مفاهيمية

محمد البكوري

تنطوي استعمالات مفهوم المجتمع المدني على كم هائل من الاختلاطات والالتباسات، حيث كل مقاربة ترتدي هنا لبوس الأيديولوجيا، إنما تندرج في حكم المقاربات التي تتماهى مع عموم الخطاب النفعي.إن التتبع التاريخي والرصد المنهجي والإبستيمولوجي لمفهوم المجتمع المدني، إنما هو محاولة معرفية للتصدي لهذا الالتلاف وتفكيك لتلك الاختلاطات التي أحاطت وواكبت تاريخ وتجربة المفهوم نظريا وسوسيولوجيا.

وقد عرف مفهوم المجتمع المدني ذيوعا وانتشارا كبيرين في الخطاب العربي المعاصر، وأصبح من المفاهيم الشائعة والمألوفة ومن ثم المقبولة – رغم ما أثاره، ولا يزال من اختلاطات واختلافات بشأنه– في كتابات الصحافة العربية وفي أحاديث وسائل الإعلام الأخرى، كما نجده فيما تعلنه النقابات والجمعيات المهنية من مطالب وبلاغات، وفيما تصدره جمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان بمختلف توجهاتها من نداءات، كما يتردد المفهوم نفسه في خطب وأحاديث الأحزاب السياسية والعديد من الجمعيات الثقافية والاجتماعية، وفيما تورده مراكز البحث من تقارير ودراسات، هذا بالإضافة إلى عدم خلو خطابات وكتابات المثقف العربي منه، بل إن المثير في الأمر أن الخطاب الرسمي والحكومي العربي يحمل في الكثير من الأحيان هذا المفهوم .هذا الرواج الهائل لمفهوم "المجتمع المدني" أسهم في زيادة تعقيداته واضطراباته بشكل أضفى عليه عدم الاستقرار والتحديد الواضح، مما جعل فكرة المجتمع المدني تتهيأ للتوظيف الخاطئ والاستخدام السيئ، حتى إن استخدامه في بعض الصراع السياسي يتخذ مضمونه بحسب الجهة التي تستخدمه ووفقا للأغراض التي تسعى لتحقيقها، كما كانت للخلفيات الفكرية وطبيعة الواقع السياسي والاجتماعي للمهتمين بفكرة المجتمع المدني دورا أساسيا في الوصول بالمفهوم إلى نوع من الاستقرار والوضوح، فقدم المفهوم تارة بوصفه مقابلا للدولة والمجتمع السياسي، وتارة أخرى بوصفه مقابلا للدين.كما قدم كمقابل للنظم العسكرية والبنى الاجتماعية التقليدية، وقدم أخيرا بوصفه مفهوما حديثا لا صلة له بالمجتمع العربي الإسلامي كذريعة لرفضه وعدم القبول به وهو ما جعل المفهوم حمّال أوجه عديدة زادت من الغموض عند التعامل معه، فلم تهتم الكثيرُ من الكتابات العربية في تناولها للمفهوم بإزالة هذا الغموض والإبهام الذي أحاط به أو محاولة إيجاد المدخل المناسب لتحديده تحديدا دقيقا من الناحية التاريخية والوظيفية والمجتمعية حتى يتم الكشف عن جوهره وأدواره وأبعاده.لذا فان المدخل المناسب لترسيخ مفهوم المجتمع المدني بما يحمله من مبادئ وقيم الديمقراطية والمشاركة بمعناها الواسع سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا وثقافيا هو القبول به أولا، ثم العمل على وضع آليات لتفعيله وفق متطلبات الواقع في المجتمعات العربية.وقد أضفت فترات المد والجزر التي صاحبت المفهوم عبر تاريخه وتراوحت ما بين الصعود والهبوط، المزيد من التعقيد والغموض عليه، حيث أفرز هذا التأرجح كمًّا هائلا من التعريفات، ما فتئت تزداد ثراء وتنوعا كلما اكتشف المفهوم في فضاء جديد أو أعيد اكتشافه في ساحة من ساحاته التقليدية. ومن تم فالإشكالية المطروحة هنا، ليست الوصول إلى تعريف جامع مانع للمجتمع المدني، بقدر ما هي محاولة التوصل إلى التحديد الدقيق لعناصر المفهوم ومحدوداته وبالتالي وظائفه وأهدافه، وذلك من خلال التعرف على الجذور التاريخية للمفهوم الذي تعددت مضامينه، باعتباره من ميراث الحضارة الغربية. والجدل الذي صاحب شيوعه في المنطقة العربية في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وحتى الآن يبين جوهر المفهوم من خلال عناصره وخصائصه ومقوماته.وعموما تعاني المفاهيم من مشكلة انحصارها وانغلاقها وبالتالي فشلها في اختراق قاموس خطاباتها، في حين أن مشكلة مفهوم المجتمع المدني هي كما أنه مفهوم نسبي نظري إجرائي. وفي سياق الإشارة إلى مأزق مفهوم المجتمع المدني، فقد يكون أحد مداخل الخروج من عناصر الغموض، التي تشكل أحد جوانب المأزق، والوصول بالمفهوم إلى غاية الوضوح، والعبور به من الفوضى والتقدير إلى الضبط والتنظيم، هو تحديد المفهوم بشكل إجرائي يعبر عن حقائق المفهوم وجوهره.ومن تم يمكن تعريف هذا المفهوم على نحو إجرائي بمجموع المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال عن سلطة الدولة لتحقيق أغراض متعددة منها: أغراض سياسية، كالمشاركة في صنع القرار على المستوى القومي، ومثال ذلك الأحزاب السياسية ، ومنها أغراض نقابية كالدفاع عن المصالح الاقتصادية لأعضاء النقابة، ومنها أغراض ثقافية كما في اتحادات الكتاب والمثقفين والجمعيات الثقافية التي تهدف إلى نشر الوعي الثقافي وفقا لاتجاهات أعضاء كل جمعية، ومنها أغراض اجتماعية للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية. وبالتالي يمكن القول إن الأمثلة البارزة لمؤسسات المجتمع المدني هي: النقابات العمالية، النقابات المهنية، الجمعيات الاجتماعية والثقافية...إن هذا التعريف يعبر عن الانتقائية بدرجة أو بأخرى، إذ يرد عليه المعايب نفسها التي توجه إلى الأسس المنهجية التي يستند إليها التعريف الإجرائي بوجه عام، علاوة على ذلك فان هذه التعريفات الإجرائية بطبيعتها تحاول من خلال الارتباط بفكرة المؤشرات كإحدى الوسائل البحثية أن تتغافل عن الأبعاد التاريخية للمفهوم، وتتبع سيرته وتطوره، فهي تتعامل معه كما هو لا في تطوره، وإهمال تاريخية المفهوم لحساب المعاني المعاصرة التي آل إليها المفهوم لا يزال يدور حول الانتقاد نفسه وهو الانتقائية المعيبة.في هذا المقام إن تحديد هذه الأشكال المرتبطة بالمجتمع المدني، ووفق التعريف الإجرائي، قد يشوبها عيب التحكم الذي يستبعد بدوره أشكالا أخرى ترتبط بأنماط حضارية أخرى، بل ترتبط بالنمط الحضاري الواحد على فترات زمنية مختلفة." المجتمع المدني" كمفهوم يشير يقينا إلى مجموعة الظواهر وعدد من الشروط تحول هذا المفهوم إلى مجموعة الظواهر التي يشير إليها والأخذ في الاعتبار شروطا عملية تصير أكثر حيادا وأقل تحيزا.إن مفهوم المجتمع المدني باعتباره مفهوما "منظومة" إضافة إلى كونه مفهوما حضاريا، وفق التصور الذي يجعل منه رافدا ضمن المشروع الحضاري، يعني بدوره أن البحث عن مصادفات هذا المفهوم وكذا الظواهر الجزئية التي يشير إليها، يفترض رؤية هذا المفهوم في منظومته التي يرتبط بها مثل "المواطنة، حقوق الإنسان، المشاركة السياسية والشعبية – الشرعية– العلاقة السياسية"... أي منظومة من المفاهيم يمكن استدعاؤها بمناسبة مفهوم المجتمع المدني، يجب مراعاتها بدورها في سياق النمط الحضاري المغاير أو المتميز. ضبط هذه المفاهيم بدورها والظواهر التي تشير إليها، وضبط النسب بينها، وعلائق التفاعل، إنما تعبر عن حقائق التعامل المنهجي مع هذا المفهوم وأشباهه. ومن تم يعني هذا ضمن ما يعنيه القيام بترجمة المفهوم إلى جوهر يتعلق بالظواهر المرتبطة به والشروط الخاصة به. وهذه خطوة تبرز جدارتها بالاهتمام حين معالجة المفهوم، وهي جزء من القيام بعملية التحديد لجوهر المفهوم.وعموما يعتبر مفهوم المجتمع المدني مفهوما متحركا وغير مستقر وغير قابل للاستخدام في كل زمان ومكان حيث إن هذا المفهوم مرتبط بنشأته أي المشكلات التي كانت مطروحة في وقت نشوئه .أي أن لحظات معينة تاريخيا وعاطفيا هي التي تبرز مكامن قوة هذا المفهوم من جهة وتعري انسيابيته وميوعته وانتشاره في كل الاتجاهات لينحت لذاته وجود إما تارة، أو ليفوض عنوة تارة أخرى، بحيث أصبح اصطلاحا متداولا في الجدل الذي تخوض فيه النخب التي تنتمي إلى مجالات وقطاعات مختلفة، في المعرفة، والسياسة، والاقتصاد... فضلا عن ذلك نجد أن المفهوم يعد من المفردات المرحب بها في القاموس التداولي للتيارات المتدينة، حيث لا وجود لرجل دولة أو دين إلا واستخدم أو استغل هذا المفهوم، بل إن فئات وهيئات عريضة من قطاعات المجتمع تتبارى في السعي للحصول على صفة العضوية في تنظيمات المجتمع المدني، لأن هذه الصفة تعد مصدرا من مصادر الشرعية... شرعية وجودية وشرعية حداثية. إن المجتمع المدني بهذا المعنى ليس مجرد قيمة سياسية، إنه إفصاح عن قيمة وجودية.

هكذا ينتمي المجتمع المدني إلى شبكة مفاهيمية، مما يزيد من صعوبات الرصد، ومن تم يكون للمفهوم أكثر من نشأة، حيث ارتبط في كل مرحلة بتجربة تميزها قطائع في الفكر والسياسية عما سواها، مما يعكس طبيعة المفارقات التي لزمت هويته التكوينية، سواء من مجال الأنساق الفكرية أو في التجارب التاريخية والاجتماعية. وقد ينتج عن ذلك كله ما يشوش على محاولات التعريف التي أخضع لها. حيث ينطوي بذلك مفهوم المجتمع المدني على صيغ دلالية ومفاهيمية تتمنع على الضبط والتحديد والتعريف. ومع ذلك ينبغي التأكيد على أن التمنع الذي يبديه مفهوم المجتمع المدني لا ينبغي أن يقود إلى التوقف عن الإمساك بتعريفه وتحليله، وبالتالي الارتقاء بهذه المحاولة

> **أي أن لحظات معينة تاريخيا وعاطفيا هي التي تبرز مكامن قوة هذا المفهوم من جهة وتعري على مكامن ضعفه من جهة ثانية.**

ليكون لها هدف علمي ومنهجي ومعرفي، مع الإدراك التام بأنه كلما تضاعف استعمال المفهوم، إلا وتضاعف غموضه وانتصبت العراقيل أكثر فأكثر في وجه كل مقاربة لرصده. مما يجعل تاريخ المجتمع المدني من أطول وأقدم التواريخ كلها، ذلك أن تحول المفهوم من لغة إلى أخرى، وما واكب ذلك من انتقال لمضامين مجمل السياقات السوسيو سياسية والمألى بالتنوع والتعدد حد التناقض والتنافر عبر تاريخ طويل ومعقد يجعلنا أمام مفهوم تاريخي شديد الحساسية إزاء التعريفات الإجرائية والتي يمكن أن تقلل من أهميته النظرية والمعرفية. وبالنظر إلى هذا البعد التاريخي للمفهوم وبعيدا عن كل الإسقاطات المجانية والتوظيفات الجزافية تنبثق الرؤية النقدية ل "مفهوم المجتمع المدني" والتي يجب ألا تنصب على المفهوم ذاته كما أبرزته المدارس المختلفة في الفكر الغربي بل يجب أن تنصب أساسا وبشكل أكبر على نقل هذا المفهوم في الوسط الأكاديمي والثقافي العربي مثلا، حيث إن "المجتمع المدني" هنا يعتبر مفهوما نموذجيا لعمليات مركبة ومتداعية تتعلق بنقل المفاهيم الغربية.مفهوم المجتمع المدني بذلك "مفهوم مأزق" مرجعيته غربية، ومنقولا إلى الواقع العربي، وهو في خبرته مفهوم أيديولوجي يرتبط باتجاهات مختلفة كما تتبناه مدارس متنوعة وهو مضطرب المعاني، صعب التكييف، كما أنه ليس محل اتفاق، وهو مفهوم منظومة يستدعي سيلا من المفاهيم الغربية، وهو مفهوم حضاري يرتبط بالمشروع التحديثي،

العمارة الإسرائيلية أداة إرهابية احتلالية

عمر السلخي

إن المستوطنات التي تحتل قمم الجبال في الضفة الغربية ومحافظة سلفيت وترتبط بشبكة طرق ومحاطه بجدار وانشئت على فترات وتتوسع بشكل مضطرد تعكس عقلية تخطيطية ومعمارية ارهابية ، فالمعماري الإسرائيلي إيال وايزمان في كتابه (مناطق محظورة) يقول:إن فن العمارة لا يخلو من صبغة سياسية، وهو ليس نتيجة لأجندات سياسية بل وسيلة لفرضها، وتعدّ العمارة وسيلة للاحتلال – وسيلة تستخدمها الحكومة الإسرائيلية من أجل فرض مصالحها.

نشأت العمارة الاسرائيلية في عام ١٩٣٦معتمدة على نظرية السور والبرج ، والتي عرضت في معرض باريس الدولي عام ١٩٣٧، كنموذج يمثل النواة الاساسية للعمارة الإسرائيلية،فالفكرة هي عبارة عن إنشاء حيز قطعة من الأرض ٣٥ مترا X ٣٥ مترا محاطة بجدار من الخشب.. جدار خشبي وأسلاك شائكة في وسطها موجود برج مراقبة، ومجاورة سكنية مكونة من أربع وحدات سكنية وبها حوالي ٤٠ شخص، و هي فكرة استيطانية تسللية، تقوم على إنشاء هذه البؤر والبقع في أماكن مختلفة من الضفة الغربية، وهي امتدادية للمستوطنات فيما بعد، فسلاسل الكيبوتسات كانت تبنى على شكل شبكات ومجموعات والأبراج فيها كانت تستخدم كآلية اتصالات يتم من خلالها إرسال أكثر من إشارة للمستوطنات الأخرى، وكانت المستوطنات تعمل معا كمجموعة شبكية متواصلة محصنة، بهدف زيادة الحدود الإسرائيلية وتقليص ممتلكات الفلسطينيين.

فالسورمهمته ليس مجرد الحماية وانما هو محاولة للاستيلاء على أكبر عدد من الأرض بأسرع وقت ممكن، فأول ما يباشر بالعمل هو انجاز السور، بالتالي الاستيلاء على الارض، ثم وضع البرج للمراقبة ، و تكوين البيوت التي قد تنجز في ليله واحده من خلال النماذج الجاهزه.

لذلك كانت المستوطنات تقوم بوظيفتين في آن معا، وظيفة مدنية وثانية عسكرية استيطانية لتنفيذ رؤى وسياسات مطابخ صناعة القرار الإسرائيلي والتي تطور نمطها الطبوغرافي لاحقا.نظرية السور والبرج هي عبارة عن فكرة سلاح ذو حدين، فتظهر بريئة في أساسها كونها تحمل مهمة دفاعية ومراقبة ، ولكنها عدوانية استيطانية في مضمونها وجوهرها للشعب الفلسطيني.

فالكيبوتسات، تسببت في تهجير الفلسطينيين أهل هذه الأراضي وأصحابها وهي تمثل أبشع أنواع انتهاكات حقوق الإنسان والتمييز العنصري واغتصاب الأرض وحقوق الانسان.جدار الفصل العنصري هو بشكل ما استمرارٌ للمشروع الاستيطاني، وهو الذراع الاخر له، فالمستوطنات أقيمت في عمق الأراضي الفلسطينية والجدار يعمل على ضم أكبر عدد ممكن من المستوطنات في داخله على حساب الأرض الفلسطينية، وهذا هو المنطق خلف الجزء المتعرج منه، وهذا ما يعرف في محافظة سلفيت باصبع ارئيل ، فهو خلاصة مشروع (شارون) الاستراتيجي الاستيطاني والذي يقصد به إحكام السيطرة المطلقة على الضفة الغربية، بالتالي قطع الطريق على قيام الدولة الفلسطينية. فالجدار يقصد به تقسيم الأرض الفلسطينية إلى أجزاء متناثرة، فهو أكثر منه جدارا خطيا واحدا، فهناك حواجز وأسيجة وخنادق ومصدات أسمنتية موزعة في طول وعرض الضفة الغربية، ولا ينظر إليه على أنه حد خطي يفصل بين جهتين فقط، بل هو واقع يخلق أجزاءً مبعثرة ومفتتة.

فالمستوطنات تفصل محافظة سلفيت الى ثلاثة كنتونات غير متواصلة في حال استكمال المخططات الاسرائيليه في المنطقة.

اذن فخطر العمارة حين يقترن بالسياسة والاستعمار ومنهجياته يصبح بأثر الدبابة على الواقع ويزيد ، فالمعماريون الاسرائيليون ينتهكون الحقوق الإنسانية والسياسية للفلسطينيين.

تعتبر العمارة علم و فنٌ وإبداع، يتحلى بالبراءة والجمال، لكن العمارة الإسرائيلية أبعد ما تكون عن ذلك، فالتخطيط المعماري الإسرائيلي أداةٌ ارهابية احتلالية غير مباشرة، فبناء المستوطنات بشكل استراتيجي ومدروس احتل قمم الجبال في محافظه سلفيت ، حيث يمكن رؤيتها من مسافة بعيدة وتمييزها من خلال سقوفها القرميدية الحمراء،التي تطل وتشرف على التجمعات الفلسطينية و المنافذ الاستراتيجية للطرقات ، بحيث يتم بعثرتها وعزلها، وقد نجحت هذه الخطة تماما، نجاحها من ناحية معمارية ونجاحها من ناحية استراتيجية سياسية، في تحقيق الهدف المطلوب والمرجو في وضع اليد على النقاط الاستراتيجية.

فالمستوطنات تعكس الثنائية أو القطبين، ، الأعلى والأسفل، الأعلى المستوطنة في أعلى الجبل، الأسفل المدينة اوالقرية الفلسطينية، الأقوى والأضعف، المسيطر والمسيطر عليه.

فتوزيع المباني يكون حول فراغ كبير في وسط المستوطنة ، وفي الأطراف تأتي البيوت من الجهات الأربع للتلال وبالتالي فان المستوطنة ممكن إن تنمو بسرعة ، وهذا معد بالتخطيط المسبق فالفراغ في الداخل لتكون كمدينة مركزية فيها الأسواق ، ومحصنة بالبيوت التي يمكن ان تمتد إلى ما هو أوسع مستقبلا. حتى شكل المباني (X)وهو النموذج للوحدات الاستيطانية الذي يسمح الرؤية من جميع الجهات الأربع ليشكل نموذجا للمراقبة ، كذلك التوزيع الفراغي للمبنى، بحيث إنه صارت غرف المعيشة، وغرف صالات الاستقبال باتجاه المستعمرة للخارج من أجل الإطلالة والمراقبه ، في حين ان غرف النوم والغرف الخدمية الأخرى باتجاه الداخل، فالتصميم الداخلي للبيت هو تصميم أمني.اما البنية التحتية لشبكات المجاري صممت لتصب في اراضي المحافظة بشكل متعمد،لتشكل ضغطا على السكان ، فمجاري مستوطنتي ارئيل وبركان الصناعية تصب في وادي المطوي في مدينة سلفيت مرورا بواد بروقين وعين الفوارة في كفرالديك لتلوث مياه الينابيع وتدمر البيئة .فجميع هذه الدلالات تدل على أن العمارة الإسرائيلية هي عمارة سياسية احتلالية ارهابية.

> **المستوطنات تفصل محافظة سلفيت الى ثلاثة كنتونات غير متواصلة في حال استكمال المخططات الاسرائيليه في المنطقة**

وجود المستوطنات على القطبية ، فدائماً فيه قطب المستوطنة وبالطرف الآخر لابد أن يكون هناك الفلسطيني أو القرية الفلسطينية، أو الموجودة بالأسفل، هذه الفكرة ثنائية، الشعور بالهيمنة والسيطرة دائما لانها قضية إحلال، قضية قرى وبلدات بديلة، قضية تجمعات فلسطينيه أصلا قائمة ومدن تنافس أو تتواجد لتقول نحن هنا، أنا وأنت ، مقولات التحيزية الحيزية المكانية.ثمة علاقة وطيدة بين العمارة وسلطة الحكم، وهي علاقة تاريخية قديمة متجددة تنبعث بالعديد من الصور والأشكال، وهي براغماتية مصلحية تعمل باتجاهين، والعمارة كانت تاريخيا ولا تزال "نخبوية" تخدم فئات معينة بالمجتمع وتلتصق بالطبقة المتنفذة والبورجوازية وصناعة القرار.

فالعمارة الإسرائيلية أبعد ما تكون عن العمارة بمفهومها الحضاري، فما هي إلا تنفيذ لسياسات ورؤى استيطانية تهويدية للأرض والشعب الفلسطيني وارثه التاريخي والحضاري .

والمعماري الاسرائيلي هو جندي من جنود الاحتلال ولكن بلباس مدني متخفي يؤدي سياسات استيطانية اسرائيلية في الضفة الغربية.

ن لعملة ارهابيه واحدة.

jadl@albiladdaily.com
يتم إرسال مقالات الكتاب على العنوان أعلاه